السّرد في المجموعة القصصيّة الكيس الأسود لحسام أبو العلا

The narration in the collection of the story The Black Bag by Hossam Abu Al-Ela

د. هرمة فاطمة♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال: DOI 10.33705/0114-027-001-010

تاريخ الاستلام: 09-07-2024 تاريخ القبـول: 18-11-2024 تاريخ النّشر: 15-03-2025

ملخّص: يعد السرد مكونا رئيسيا في البناء القصصي، فبواسطته تلتحم أجزاء القصة، ويعبر الكاتب عما يختلج في دواخل شخصياته من أفكار وشعور، فلا يمكن بناء قصة أو رواية من دونه، فهو الركيزة الأساسية التي تبنى عليها، ومن خلاله تتضح لنا أركانها من حدث ومكان وزمان وشخصيات وللسرد أساليب ووظائف ورؤى أو زوايا يمكن للراوي أن يروي بها عمله الأدبي.

لذلك حاولت من خلال هذه الورقة البحثية كشف الرؤى السردية في المجموعة القصصيّة "الكيس الأسود" لحسام أبو العلا من خلال التطرق لمفهوم السرد والرؤية السردية وزواياها في "الكيس الأسود"، وكيف جاءت لغة السرد والحوار فيها؟

كلمات مفتاحيّة: السرد؛ حسام أبو العلا؛ الرؤية السردية.

♥ جامعة غرداية.

البريد الإلكتروني: herma.fatma@univ ghardaia.dz (المؤلف المرسل).

Abstract: Narration is a major component in narrative construction. Through it, the parts of the story are united, and the writer expresses the thoughts and feelings that rage inside his characters. It is not possible to build a story or novel without it, as it is the basic foundation on which it is built, and through it, its pillars become clear to us: event, place, time, and characters. Narration has methods, functions, visions, or angles through which the narrator can narrate his literary work.

Keywords: Narration ; Hossam Abu Al-Ala; The narrative vision.

1. مقدّمة: إن السرد مفهوم واسع، إذ يشمل القصة والرواية والسينما والتاريخ..، فهو يضم مختلف الخطابات الأدبية وغير الأدبية، هو حاضر في الحكاية والقصة اللتيْن لا غنى للشعوب عنهما، ومن خلال السرد تبنى الأحداث الحقيقية أو الخيالية والتي بدورها تعرض عن طريق اللغة المكتوبة أو المنطوقة.

والقصة القصيرة وفدت إلى أدبنا العربي كفن مكتوب من خلال الاحتكاك بالآداب الأخرى عن طريق الترجمة، فهي قد تكون قصصًا خيالية من نسج خيال الكاتب أو صورة عاكسة للمجتمع، تصور واقعه الاجتماعي والثقافي والاقتصادي.

وفي هذا البحث تطرقت إلى السرد من خلال المجموعة القصصية "الكيس الأسود" لصاحبها الصحفي والقاص المصري حسام أبو العلا، من خلال طرح إشكالية كيف وردت الرؤية السردية ولغة كل من السرد والحوار في تلك المجموعة القصصية؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية تطرقت لمفهوم السرد والرؤية السردية أو زاوية النظر التي اعتمدها القاص، واللغة التي عرض بها أحداث قصصه وأنواع الحوار التي جسدها من خلالها.

-**نبذة عن الكاتب:** حسام أبو العلا، ،صحفي وقاص مصري، من مواليد مدينة كفر صقر، محافظة الشرقية، متحصل على شهادة الليسانس في الآداب سنة1995، من قسم التاريخ جامعة الزقازيق، عضو في نقابة الصحفيين المصريين، صحفي في مجلة أكتوبر–دار المعارف– وكاتب مقالات في عدد من المواقع والصحف، حاصل على درع التميز في المجال الإعلامي من السفارة المصرية بالسعودية في مايو 2004، وحاصل على درع محافظتي الفيوم وبني سويف ودرع وزارة الثقافة المصرية، من إصداراته: "قلب مهزوم" وهي عبارة عن قصص قصيرة سنة 2007، الكيس الأسود2018، موعد الفراق2020، وداع2022.

وقد جاءت المجموعة القصصية" الكيس الأسود" محل الدراسة في 104صفحة، متكونة من15 قصة تتناول قضايا متنوعة ما بين اجتماعية واقتصادية وثقافية، فتطرق للتضامن في قصة "الكيس الأسود" و"ليلة العيد"، عقوق الوالدين في "جحود"، قسوة الآباء في "الكهلة"، الحب والفقد في "دنيا" و"الفراق"، المرأة المضطهدة والمكافحة في "رحلة العمر" و"اغتصاب" و"شروق"، التسامح الديني في "أخي القبطي"، المرأة اللعوب والمهملة في "سحر العيون" و" الابتسامة المفقودة " الطبقية في "عودة مخيبة " و" الغفران".

2-مفهوم السرد: جاء في لسان العرب لابن منظور تقدمة شيء إلى شيء ما، تأتي به ملتصقا أثره في أثر بعض متتابعا. ويقال سرد الحديث ويسرده سردا: إذا تابعه. وفلان يسرد الحديث سردا: إذا تابعه، وفلان يسرد الحديث سردا: إذا كان جيد السياق له، وفي صفة كلامه صلى الله عليه وسلم: لم يكن سرد الحديث أي يتابعه ويستعجل فيه، وسرد القرآن: تابع قراءته في حذر منه وسرد فلان الصوم إذا والاه وتابعه[1] (ابن منظور1999)، فالسرد بالمنحى اللغوي يعنى تتابع الأحداث وتواليها.

وهو" الحديث أو الإخبار لواحد أو أكثر من واقعة حقيقية أو خيالية، من قبل واحد أو أكثر من الساردين، وذلك لواحد أو أكثر من المسرود لهم"[2] (علي المانعي2010).

عد السرد" فعل يقوم به الراوي الذي ينتج القصة، وهو فعل حقيقي أو خيالي، ثمرته الخطاب، ويشمل السرد–على سبيل التوسع–مجمل الظروف المكانية والزمنية والواقعية والخيالية التي تحيط به، فهو إذن عملية إنتاج يمثل فيها الراوي دور المنتج، والمروي له دور المستهلك، والخطاب دور السلعة المنتجة"[3] (لطيف زيتوني2002).

والحكي يقوم على دعامتين:

أولاهما: أن يحتوي على قصة ما، تضم أحداثًا معينة.

ثانيهما: أن يعين الطريقة التي يحكي بها تلك القصة، وتسمى هذه الطريقة سردا، ذلك أن قصة واحدة يمكن أن تحكى بطرق متعددة، ولهذا السبب فإن السرد هو الذي يعتمد عليه في تمييز أنماط الحكي بشكل أساسي."[4](حميد لحمداني2000)، فالسرد إذن يمثل حلقة تتكون من راو ومروى له وخطاب ويقوم على قصة أو حكاية متعددة الأنماط في طريقة إخراجها كنص منطوق أو مكتوب.

3–الرؤية السردية: الرؤية، الرؤية السردية، زاوية الرؤية، البؤرة، التبئير... كل هذه مصطلحات نقدية نجدها، في مجال النقد الروائي الحديث... وهي مصطلحات تركز في معظمها–رغم بعض الفروقات البسيطة على الراوي، الذي من خلاله، تتحدد "رؤيته" إلى العالم الذي يرويه(بشخصياته) وأحداثه. وعلى الكيفية التي من خلاله في علاقته بالمروي له...[5](أمنة يوسف2015)، وهي كشف الطريقة التي تدرك بها الحكاية من قبل السارد.

لقد غلب نمط السرد الذاتي في هذه المجموعة القصصية، حيث نجد المؤلف كأنه هو البطل فيروي القصص على لسانه، من خلال غلبة ضمير المتكلم .من ذلك" استعوضت الله في حقوق أبنائي، وبدأت في البحث عن عمل...التحقت بوظيفة عاملة نظافة في مستشفى خاص، لكن كانت الجنيهات القليلة لا تكفي نفقات الأولاد الثلاثة، فاضطررت إلى العمل فترتين ..."[6](حسام أبو العلا2018)، ونجد أيضا قوله" حاولت كثيرا الاقتراب منها لأزجرها كي تتوقف عن خلط أنفاسها الدافئة بأنفاس محملة بقطران التبغ ، ثم أتراجع لأن المسافة بيننا أكثر من شاعرة ومعجب ..."[7](نفسه).

وتتعدد رؤى السرد في القص والرواية، وفي هذه المجموعة القصصية وجدت نوعين من الرؤية السردية هما:

3-1-الرؤية مع: هي الرؤية التي تتساوى فيها أو-تتصاحب-معرفة الراوي بمعرفة الشخصيات الروائية، لذلك كثيرا ما نجد شخصية الراوي تتطابق مع الشخصية القصصية فيتم السرد بضميري المتكلم والغائب "[8] (محمد عزام2003)، ومن بين المقاطع التي تتطابق فيها شخصية الراوي مع الشخصية القصصية في المقطع التالي: "لاحظت أن عينيها تفتقدان الإحساس بحركاتي"[9](حسام أبو العلا2018)، يبين لنا هذا المقطع أن السارد لم يكن يعلم بأن العجوز كفيفة، وعرف ذلك من خلال حركاتها فقط وبالتالي فشخصية السارد هنا متساوية مع الشخصيات من حيث المعرفة.

ونجد أيضا: "وصلت إلى بيتها فلم أجدها تجلس كعادتها. وأخبرتني جارتها بأنها مريضة وترقد بالداخل"[10](نفسه)، الساردة هنا لم تكن على علم بما جرى من أحداث بعدها إلا عند قدومها.

وأيضا: " وفي نهاية الزيارة كانت ترحل الضيفة وتخفي بين طيات ملابسها كيسا أسود، ما أصابني بالحيرة وظل الفضول يؤرقني وكنت شغوفا لأعرف ما الذي تخفيه أمي بالكيس...الكيس كان به بقايا طعامنا..."[11](نفسه)، فالسارد

عرف محتوى الكيس من والدته، أي من طرف الشخصية، ولم يكن عالما بكل الأحداث.

ومن أمثلة هذه الرؤية أيضا:" أخبرتني أنها تحتاج إلى جراحة، وطلبت من ابنها أن يمنحها مبلغا من المال لتتمكن من العلاج، لكنه تجاهل طلبها، ولم تكترث بناتها بالذهاب للأطباء قبل أن تسوء حالتها"[12](نفسه)، في هذا المقطع عبرت الشخصية عن معاناتها مع المرض ومع بناتها الجاحدات، والساردة هنا عرفت المعلومة من طرف الشخصية وبالتالي تحققت الرؤية مع.

في المثالين التاليين نجد ضمير المتكلم مما يدل على الرؤية مع من خلال الأفعال التامة: بدأت –التحقت –سافرت.

"بدأت في البحث عن عمل...التحقت بوظيفة عاملة نظافة في مشفى خاص..."[13](نفسه).

فقد سافرت للعمل بالخارج عدة أعوام... وخلال إجازتي القصيرة كنت ألتقي شقيقي القبطي لمعرفة أخباره والاطمئنان على أحواله..."[14] (نفسه).

3-2-الرؤية من الخلف: هي الرؤية "التي تكون فيها، معرفة الراوي أقل من معرفة الشخصيات الروائية"[15](أمنة يوسف2015)، ومن نماذج هذه الرؤية المقطع التالي: "عفويتها ونقاؤها وزهدها أعطتني طاقة إيجابية لتحدي ما أعانيه من وجع"[16](نفسه)، فالسارد هنا عالم بما تحمله أم يوسف بداخلها من صدق ونقاء.

"كان أبي باردا في أحاسيسه ولا أتذكر يوما أنه احتضنني أو قبلني"[17](حسام أبو العلا2018)، فالسارد هنا يسترجع ذكرياته مع والده التي تنم عن الألم وقسوة الأب التي تركت بداخله جرحا دفينا.

"في المرات القليلة التي تحدث معي فيها كانت نظراته الثاقبة تتفحصني تشير إلى أنه يعاني حرمانا..."[18](نفسه)، في هذا المقطع كانت الساردة على علم بالمشاعر التي يحملها زوج الطبيبة لها والأفكار التي تختلج بداخله نحوها.

كان عبوسا وملامح وجهه معقدة يصعب فك غموضها، وكان لسانه سليطا يقطر سما وينطق بأقذع الألفاظ"[19](نفسه)، في هذا المقطع يبين لنا السارد ما تحمله هذه الشخصية من الصفات السيئة.

"...تم اصطحابي إلى حفل كبير بحضور مسؤولين، جلست لا أفهم شيئا ثم سمعت صوت أحد منظمي الحفل يطالبني بالصعود إلى المسرح..."[20](نفسه) من خلال هذا المقطع يتبين لنا أن شخصية الساردة شخصية عادية مثل باقي الشخصيات الأخرى، فهي مجرد طرف مشارك في الأحداث.

فالرؤية السردية الغالبة هي (الرؤية مع)، ذلك أن السارد هو الذي يحكي الأحداث وهو البطل، ليس المؤلف.

4-لغة السرد: اللغة كما يعرفها الفارابي: "نظام اجتماعي تتكلمه جماعة عينة بعد أن تتلقاه عن المجتمع، وتتحقق به وظائف معينة، وتتشكل من جيل إلى جيل."[21](نادية رمضان النجار، دط)، أي أنها تحمل تراكيب وقواعد معينة ينتجها المجتمع بهدف التواصل.

وقد جاءت لغة السرد في هذه المجموعة القصصية بسيطة قريبة المأخذ تخلو من التعقيد، ولعل ذلك راجع إلى طبيعة الموضوعات التي طرقها، والتي يغلب عليها الطابع الاجتماعي، فهي لغة تكاد تخلو من الانزياح فلم يكسر فيها الكاتب أفق توقع المتلقي ومن ذلك نجد قوله:" فاللغة في هذه المجموعة القصصية فصيحة تكاد تخلو من اللغة العامية إلا ما ندر على نحو قوله في قصة (شقيقي القبطي): "يابني طول عمرنا متربيين سوا مسيحي ومسلم، بنقسم اللقمة سوا، وشغلنا سوا... "[22] وفي قوله" هتقعدوا هنا وكل طلباتكم

مجابة...هبقى أزوركم مرة فالأسبوع...مش عاوزة شقاوة عشان أمي صحتها على قدها"[23](حسام أبو العلا2018).

فاستخدام الكاتب للغة العامية فيه محاولة منه للغوص في أعماق المجتمع الذي يعيش فيه وإضفاء بعد واقعي على مجموعته القصصية.

كما أن لغته جاءت بسيطة بساطة الواقع الاجتماعي والاقتصادي الذي تدور فيه أحداث القصص وشخصياتها، نجد من ذلك: "بعد جولة مرهقة وفي طريق عودتي إلى البيت، لم أشعر إلا وأنا في شارع يبدو من مبانيه المتصدعة الفقر المدقع لساكنيه، وفجأة تسمرت قدماي أمام عجوز تجلس على عتبة بيتها، ملابسها السوداء الرثة والتجاعيد على وجهها العابس أصابتني بالخرس ..."[24](نفسه).

يمكن القول إن لغة الكاتب تسير في منحى واحد فلا نجد اختلافًا بين الراوي ولغة الشخصيات.

كما أن لغته في أغلبها بسيطة واضحة، لكننا نجد بعض الإنزياحات الطفيفة تتخلل بين طيات بعض القصص، حيث استخدم اللغة الشعرية على نحو قوله في قصة (جحود):"...لكن يكفي هذه العجوز الرحوم أنها، دون أن تدري أو تقصد، فتحت بقلبي طاقة أمل ونور فجرت نهرا من الخير والعطاء..."[25](نفسه)، فاللغة هنا جاءت موحية تقترب من لغة الشعر.

5-الحوار: الحوار عنصر ضروري في القصة والرواية والمسرحية، فهو يكشف لنا تطور الأحداث، ويخدم الشخصية في العمل السردي، وهو "أنواع وفنون، ولكن أصله أن يكون طرفان يتداولان الحديث حول مسألة ما أو قضية فيجري بينهما كلام حول تلك المسألة أو القضية هذا الكلام هو الحوار أيا كان موضوعه أو أطرافه، إنه عملية لغوية تواصلية"[26](السيد خضر2009)، وينقسم

الحوار إلى قسمين: حوار داخلي (مونولوج)، وحوار خارجي، وهو الشائع بكثرة وكان الحوار في هذه المجموعة القصصية كالتالي:

5-1-الحوار الداخلي: هذا الحوار هو حديث بلا صوت يجري داخل الشخصية ويكون مجالها النفس، ففيه تتحاور الشخصية مع نفسها، تعبر عن مشاعرها ومن أمثلته نجد:

"كنت شغوفا لأعرف ما الذي تخفيه أمي بالكيس... ولماذا تعطيه لهذه السيدة؟!"[27](حسام أبو العلا، ص:8)، فالسارد هنا كان يحادث نفسه طيلة سنين عن محتوى الكيس ولم يستطع أن يبوح لوالدته عن فضوله هذا، إلا بعد سنين لما وقعت أمه على فراش الموت.

وفي المقطع التالي: "ظل قلبي يعاتبني. كيف كانت منسية بين أوراقي المطوية؟!"[28](نفسه، ص:95)، يسأل السارد نفسه كيف نسي الرسائل التي تركتها شروق. وهو حوار فيه نوع من الندم والخوف من تصفح تلك الرسائل.

5-2-الحوار الخارجي: وهو حوار يدور بين شخصيتين أو أكثر في إطار المشهد داخل العمل بطريقة مباشرة، ويطلق عليه تسمية الحوار التناوبي أي الذي تتناوب فيه شخصيتان أو أكثر بطريقة مباشرة، إذ إن التناوب هو السمة الإحداثية الظاهرة عليه[29](بسام خلف،ص:4)، ومن مثلته نجد:

حوار السارد مع والدته: قالت بصوت وهن: "سأكشف لك السر الذي كان يؤرقك"[30](حسام أبو العلا، ص:9).

وحوار السارد مع العجوز: قالت بصوت خفيض: إن زوجها هجرها منذ أعوام لا تذكر عددها بعد أن اشتد عليه الفقر والمرض وبات عاجزا عن تحمل النفقات"[31](نفسه، ص:14).

وفي المقطع التالي حوار السارد مع زوجته حول مبلغ السلفة الذي اقترحت عليه أن يعطيه للعم أحمد لشراء لبس العيد لأبنائه، لكنه كان ينتظر منها تغيير

رأيها بعد هذا السؤال: "باغتها بسؤال: "كيف أجبر خواطر أبناء عم محمد وأكسر قلب ابني؟"[32](حسام أبو العلا، ص:80).

وفي الحوار الذي دار بين السارد وشروق نجد: قالت: "بعد رحيلك في أحلك أيام حياتي، ماتت أمي، ثم تزوجت من ابن عمي في مسقط رأسي بالجنوب لكنه قتل بسبب خصومة ثأرية وأخذ ابني بثأره وحاليا يقبع خلف قضبان السجن..."[33](نفسه، ص:98)، من خلال هذا المقطع عبرت شروق عن مسيرة حياتها بعد رحيل السارد، وبذلك عرفت المتلقي والسارد بأحداث ماضية لم نكن لنعرفها لولا هذا الحوار.

5. خاتمة: من النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الورقة البحثية:

-تمثل المجموعة القصصية (الكيس الأسود) لحسام أبو العلا نموذجا للواقع الاجتماعي والاقتصادي والنفسي للمجتمع المصري والعربي بصفة عامة؛

-إن الكاتب اعتمد في سرد قصصه على السرد الآني الذي اتخذ فيه من السارد شخصية قصصية تدير ضفة السرد؛

-اعتمد الكاتب على الرؤية مع والرؤية من خلف مع غلبة الرؤية مع، كون السارد طرفًا في القصة وشخصية من شخصياتها، استلم كفة السرد في كل القصص؛

-لغة القاص لغة بسيطة سهلة المنال لا تحتاج لإعمال ذهن حتى تفك شفراتها، هي لغة بسيطة بساطة الطابع الاجتماعي الذي عالجه القاص في مجموعته، تجد فيها بعض العبارات العامية الهدف إضفاء واقعية على النص السردي. كما استخدم اللغة الشعرية ليضفي بعض الجمالية والخيال لجذب المتلقي؛

-جاء الحوار واضحًا وسلسًا، مفهوم في التراكيب والألفاظ، تطغى عليه لغة الجرائد التي تستوعبها كل فئات المجتمع، كون القاص صحفيًا قبل أن يكون كاتبًا، فانعكست لغته على كتاباته، وقد ورد الحوار بنوعيه في المجموعة القصصية (الداخلي والخارجي)، تعرفنا من خلاله على ما تفكر فيه الشخصيات، وأسهم في تطور الأحداث.

6. قائمة المراجع:

[1] –ينظر: بن منظور، لسان العرب، تح: أمين محمد عبد الوهاب، –محمد الصادق العبيدي، مادة:(س ر د)، ج:6، دار إحياء التراث العربي –مؤسسة التاريخ العربي، بيروت–لبنان، ط3، 1999، ص:121.

[2] –علي المانعي، القصة القصيرة المعاصرة في الخليج العربي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2010، ص:36.

[3] –لطيف زيتوني، معجم المصطلحات (نقد الرواية)، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 2002، ص:105.

[4] –حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، دط، 2000، ص:45.

[5] –ينظر: آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ص:47.

[6] –حسام أبو العلا، الكيس الأسود، النخبة للنشر والطباعة والتوزيع، الجيزة–مصر– ط2، 2018، ص:32.

[7] –نفسه، ص:44.

[8] –تنظر محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي في ضوء المناهج النقدية الحديثة، اتحاد الكتاب العرب، ط2، 2003، ص:101.

[9] – الكيس الأسود، ص:14.

[10] –نفسه، ص:15.

[11] –نفسه، ص:9.

[12] –نفسه، ص:14.

[13] –نفسه، ص:32.

[14] –نفسه، 41.

[15] –أمنة بلعلى، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، م س، ص:47.

[16] –نفسه، ص:16.

[17] –الكيس الاسود، ص:20.

[18] –نفسه، ص:33.

[19] –نفسه، ص:19.

[20] –نفسه، ص:37.

[21] –نادية رمضان النجار، اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، مرجعة وتقديم عبده الراجحي، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية–مصر، دط، ص:41.

[22] –الكيس الأسود، ص:39.

[23] –الكيس الأسود، ص:51.

[24] –نفسه، ص:13.

[25] –نفسه، ص:17.

[26] –السيد خضر أبحاث في النحو والدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2009، ج:1، ص:125.

[27] –الكيس الأسود، ص:8.

[28] –نفسه: ص:95.

[29] –ينظر: بسام خلف سليمان، الحوار في رواية الإعصار والمئذنة لعماد الدين خليل–دراسة تحليلية–مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل، مجلد:7، ع:13، 2013، ص:4.

[30] –الكيس الأسود، ص:9.

[31] –السابق، ص: 14.

[32] –نفسه، ص:80.

[33] –نفسه، ص:98.